محاضرة (08) : شعريات جاكبسون

تمهيد :

تعالج الشعرية أدبية النص باعتبارها مجموعة من الخصائص الملازمة للغة الجمالية ، وتمتلك دلالتها الأساسية من نظرية الأدب فهي معرفة لسانية ، ومنهج تحليلي للخطاب بوصفه ملفوظا يحتكم للنظام اللغوي وظروف إنتاجه ، فما حقيقة الشعريات عموما ؟ وعند العالم اللساني الأدبي الناقد جاكبسون خصوصا ؟

1- ماهية الشعريات : تعددت مفاهيم الشعريات بحسب الأوساط الثقافية المتباينة ، نقف عند أهمها :

أ/ المفهوم الشعبي :

سبق الاستخدام الشعبي لهذا المصطلح ؛ فالناس اليوم يقولون في وصف جماليات الأشياء من حولهم : موسيقى شاعرية ، ومنظر شاعري ، وموقف شاعري ، وهم لا يقصدون بذلك الشعر وإنما يقصدون جمالية الشيء وطاقته التخييلية وهي مؤهلات وافية لضمان قبول هذا المصطلح .

ب/ المفهوم العربي :

أصلها اللغوي يرجع إلى الجذر الثلاثي "ش.ع.ر" ، ويدل على معنيين :

1- معنى مادي .

2- معنوي مجرد : العلم والفطنة (شعرت بالشيء) "ليت شعري" : ليت علمي والشعر منظوم القول غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية قال الأزهري هو القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها . والجمع أشعار ، وقائله شاعر ؛ لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره ، أي يعلم ...وسمي شاعرا لفطنته " "عظم شعائر الله تعالى ، وهي أعلام الحج من أعماله ، ووقت بالمشعر الحرام ...وما يشعركم : ما يدريكم وهو ذكي المشاعر وهي الحواس " تنحصر المعاني اللغوي لمصطلح الشعرية في :

- الدلالة على العلم .
- لكل شعرية معالم ، وضوابط محددة .
- يحمل مصطلح الشعرية نوعا من الثبات .

ومصطلح الشعرية في النقد العربي من المصطلحات المعقدة عكس النقد الغربي ، وسببه الترجمة الحرفية من لغته إلى اللغة العربية .

الشعرية ليست تاريخ الشعر ، تاريخ الشعراء/ فن الشعر/ نظرية الشعر/ ما يجعل الشعر شعرا .

فهي محاولة لوضع نظرية عامة ومجردة ومحايثة للأدب بوصفه فنا لفظيا ، إنما يستنبط القوانين التي يتوجه الخطاب اللغوي بموجبها وجهة أدبية ، فهي إذا : تشخيص قوانين الأدبية في أي خطاب لغوي ، وبصرف النظر عن اختلاف اللغات .

تدرس الشعرية الأشكال الفنية والجمالية والأساليب الأدبية ، الشعرية هي دراسة الفن الأدبي باعتباره إبداعا لفظيا ، أو دراسة الصيغ الداخلية للنص ، توصيف النصوص الأدبية ومكوناتها الثابتة وسماتها المتغيرة وقواعد تجنيسها ومنه نقول : شعرية الشعر ، شعرية السرد ، شعرية السنما ، شعرية المسرح ، شعرية الإيقاع .

تعنى الشعرية بقواعد الإبداع الأدبي والفني والجمالي ، والبحث في مكوناتها الداخلية المحايثة .

ج/ المفهوم الغربي :

الشعريات "Poétics " مفهوم لساني حديث يتكون من ثلاث وحدات "Poèm" وهي وحدة معجمية تعني في اللاتينية "الشعر" أو "القصيدة" ، واللاحقة "ic" هي وحدة مورفولوجية تدل على النسبة وتشير إلى الجانب العلمي لهذا الحقل المعرفي ، واللاحقة "S" الدالة على الجمع .

شعرية : Poétics أصله لا شيء من كلمة "Poética" المشتقة من كلمة Poétikos ، منذ أرسطو سمى كتابه Poétiks فن الشعر أو فن الشعرية .

والشعريات مفهوم حاول اللسانيون والنقاد العرب نقله إلى العربية ، فاختلفوا ، ولم يتفقوا على تسميته تسمية واحدة ، من ذلك أن بعضهم سماه "الإنشائية" ، أو "الأدبية" ، أو "التعبيرية" ، أو "الأسلوبية" ، والبعض الآخر سماه "الشعرية " ، وهنا من أطلق عليه مصطبح "الشاعرية" ، فمزقت هذه الاختلافات جوانب العلم ، و أضاعت الغاية المرجوة ، فاختلف القراء في فهم كنهه ، واعرض عنه المبتدئون .

والشعريات جزء لا يتجزأ من اللسانيات ، وهي العلم الشامل الذي يبحث في البنيات اللسانية .لقد جاءت لتضع حدا للتوازي القائم بين التأويل والعلم في حقل الدراسات الأدبية ؛ هي بخلاف تأويل الأعمال النوعية لا تسعى إلى تسمية المعنى ، بل إلى معرفة القوانين داخل الأدب ذاته ، إذا فهي مقاربة للأدب مجردة وباطنية في الآن نفسه ، وهي الكليات النظرية عن الأدب نابعة من الأدب نفسه وهادفة إلى تأسيس مساره ، فهي تناول تجريدي للأدب مثلما هي تحليل داخله .

2- الشعريات عند جاكوبسون "شعرية الجمالي"

انتقل الاهتمام من مركزية "اللغة" ، ف"البنية" إلى مركزية "الخطاب" وتغيرت معه الوسائل ، والأدوات التحليلية ، والتوجهات فبرزت أفكار رومان جاكبسون منذ سنة 1960 م ، وبعد الملتقى التاريخي الذي انعقد بجامعة "أنديانا بوليس" الأمريكية ، فيه بشر بإمكانية قيام المصاهرة بين اللسانيات وعلم الأدب ، فقدم البديل المعرفي ، والمنهجي ، وتجلى في نظرية "الوظائف اللغوية الست" التي فيها حدد دور "الوظيفة الشعرية " ، فعدها مركزية ، ومحورية في الدراسة ، واعتبر كل الوظائف (انفعالية) وإفهامية ، ومرجعية ، وانتباهية ، ومعجمية ، هي وحدات سيميائية تسبح حولها ، وتتغذى من أشعتها .

وهكذا حل مفهوم "الرسالة" محل "البنية" ، واشاع استخدام مصطلح "الخطاب" وعدت أية عملية تواصلية لا تقوم إلا على دعامات ست هي : المخاطِب والمخاطَب ، والخطاب ، والسياق والانتباه والمواضعة .

وتركز مفهوم "الشعرية" حول الإجابة على السؤال التالي : ما الذي يجعل الرسالة اللغوية عملا فنيا ؟ وهذا سؤال صاغه رومان جاكبسون ، وراج عليه في كل ما كتب بعد ذلك .

ويتبع جاكبسون سؤاله ذاك بأن يقول : إن الموضوع الرئيسي للشعريات هو تمايز الفن اللغوي واختلافه عن غيره من الفنون الأخرى ، وعما سواه من السلوك القولي . وهذا ما يجعل الشعريات مؤهلة لموضع الصدارة في الدراسات الأدبية ، فهي تبحث في إشكاليات البناء اللغوي ، ولكنها لا تقف عند حد ما هو حاضر وظاهر من هذا البناء في النص الأدبي ، وإنما تتجاوزه إلى سبر ما هو خفي وضمني ، ولذلك فإن كثيرا من الخصائص الشاعرية لا يقتصر إنتماؤها إلى علم اللغة ، وإنما إلى مجمل نظرية الإشارات أي علم السيميولوجيا العام .

والشعريات تنبع من اللغة لتصف هذه اللغة فهي : لغة عن اللغة ، تحتوي اللغة وما وراء اللغة ، مما تحدثه الإشارات من موحيات لا تظهر في الكلمات ، ولكنها تختبيء في مساربها ، وهو تمييز للشعريات عن اللغة العادية ، ليتأسس التمييز ويقسم اللغة إلى فئتين : لغة الأشياء ، وهي ما نمارسه عادة في الحديث عن الحياة وعن الأشياء ، والفئة الثانية : ما وراء اللغة ، وهي لغة اللغة ، عندما تكون اللغة هي موضوع البحث وهذه هي الشعريات .

يرى جاكوبسون أن الشعريات يمكن تحديدها على أنها : ذلك الفرع من اللسانيات الذي يعالج الوظيفة الشعرية في علاقتها مع الوظائف الأخرى للغة ، وتهتم بالمعنى الواسع للكلمة بالوظائف الشعرية ، لا في الشعر وحسب ؛ إذ تهيمن هذه الوظيفة على الوظائف الأخرى للغة ، وتهتم أيضا خارج الشعر ، حيث تعطي الأولوية لهذه الوظيفة أو تلك على حساب الوظائف الشعرية "

نستنتج أن مقصد جاكبسون من الشعرية يتحدد في ثلاثة مقاط هامة وأساسية هي :

1- الشعرية فرع من فروع اللسانيات .
2- الشعرية تعالج الوظائف الشعرية وعلاقاتها بالوظائف الأخرى للغة ، بمعنى أن الشعرية لها علاقة بالبنيوية والأسلوبية والسيميائية وغيرها من علوم اللغة .
3- تهتم الوظائف الشعرية ليس بالشعر فقط بل حتى النثر .

فالشعر عند جاكبسون لغة ذات وظيفة جمالية ، أما الشعرية فتعني الأدبية وموضوعها علم الأدب الذي يعنى بالآليات وطرائق الصياغة والتركيب .

والشعريات بذلك هي فنيات التحول الأسلوبي ، وهي استعارة النص ، كتطور لاستعارة الجملة ، حيث ينحرف النص عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي . وهذه السمات البلاغية التي تتصدر النص ليست حلية يتزين بها النص كي

يفتتن القارئ ولكنها لب وجوده وسر سحره كما يقول جاكبسون : ليست إضافة تجميلية للخطاب بزينة بلاغية ولكنها إعادة تقييم كاملة للخطاب ولكل عناصره مهما كانت هذه العناصر.

ولذا فإن الشعريات هي انتهاك لقوانين العادة ، ينتج عنه تحويل اللغة من كونها إنعاكسا للعالم أو تعبيرا عنه أو موقفا منه ، إلى أن تكون هي نفسها عالما آخرا ، ربما بديلا عن ذلك العالم ، أي تحويل العالم إلى خيال .